الملائكة في التقليد الشرقي

بقلم المثوري انطون طربيه

يقتصر هذا البحث على القرون الثلاثة عشر الاولى . ويقسم الى مرحلتين :

المرحلة الاولى تنطوي على ثمانية قرون . نشير بها على بعض التلميحات عن الملائكة عند الآباء وعلى درسين .

احدهما بالرغم من انه نسب لديونيسيوس الاريوفاجيتي لا يتعدى اواخر الجيل الخامس والثاني تأليف يوحنا الدمشقي ويرتقي للجيل الثامن .

المرحلة الثانية من القرن التاسع الى الثالث عشر . فيها مقالتان قيمتان في الملائكة لخصتا وجمعتا كل معطيات الوحي والتقليد . احداهما لموسى ابن الحجير اسقف الموصل الذي عاش في اواخر الجيل التاسع والثانية لغريغوريوس ابن العبري من الجيل الثالث عشر وكلاهما بعقوبيان .

المرحلة الاولى : الملائكة في التقليد الشرقي في الثانية قرون الاولى .

لا عجب ان كنا لا نجد شيئاً مهماً يخص الملائكة في تعليم الآباء خلال القرون الاربعة الاولى للكنيسة ، لان تعليمهم كان له وجهة عملية بحتة فشغلوا بما يتعلق بالوهية المسيح وبالثالوث الاقدس ضد الدوكتيين والاريوسيين .

ولم يتطرأوا لبحث ظل خارجاً عن نطاق اهتمامهم . اشار معظم الآباء الى وجود الملائكة كحقيقة موحاة واستندوا على شهادة الرسول بولس للقول باجراق مختلفة .

القديس ايرينه في مقالته ضد الارطقات :

« ليشرح لنا النيوستيك عدد الملائكة ورتبة الرؤساء : ليفيدونا عن الفرق بين السادات والرؤساء والسلاطين والقوات[1] .

كيرياوس الاورشليمي يقول للاريوسيين :

---

(١) Adv. Haer II,30, P.G. VII, 818.

« قولوا لي : ... الملائكة هم رؤساء ... المسيح وما هي الرؤساء والسلاطين والعروات[1] » .

القديس باسيليوس تكلم عن ثمانية اجواق فاعلي رؤساء الملائكة[2].

لكنهم ظلوا مترددين بتحديد طبع الملائكة والبت بروحانيتهم . فظنوا ان الله وحده روح وما سواه فجسم اما كثيف واما لطيف . فشبه القديس باسيليوس في مقالته عن الروح القدس طبع الملائكة « بنار غير هيولانية وبروح هوائية[3] » وتقترب اكثر من روحانية الملائكة مع غريغوار النزيزي في عظته اللاهوتية الثانية :

« ان قالوا ان الله له جسم ملائكي فمن اين للملائكة جسم وما هو ذاك الجسم »[4].

اما اول تعليم ضاف عن الملائكة فينسب الى ديونيسيوس الاريوفاجيتي تلميذ بولس الرسول الذي قبل الانجيل في آثينا حسب نص اعمال الرسل ١٧:٣٤. لكن المؤلف الحقيقي ينتمي الى اواخر الجيل الخامس واوائل الجيل السادس ويرجح انتماؤه على ما يظهر الى البطريركية الانطاكية والى بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة . وذهب بعض المؤرخين امثال الدكتور Stiglrhayer في اواخر القرن الماضي واخيراً السيد Honnugman الى القول انه سافار الانطاكي او بطرس d'Ibère[5] الذي شاء وضع مؤلفاته تحت اسم تلميذ بولس ليثبتها في كل الاوساط وخصوصاً بين الارثوذكسيين .

وبين المقالات الاربعة المنسوبة لديونيسيوس مقالة في الطغمة الملائكية اودعها خمسة عشر فصلاً كان لها الاثر الرئيسي في علم الملائكة سواء في الشرق ام في الغرب[6].

(١) Catech. XII, P.G. XXXIII, 705 et 1113.

(٢) Orat. XXXIX, 2, P.G. LXXXV, 429.

(٣) De spiritu sancto. P.G. XXXII, 137.

(٤) Théolog. II, P.G. XXXVI, 36 B.

(٥) Pierre l'Ibérien et les Écrits du Pseudo-Denys, par Ern. Honnigman, Mémoire, tome XLVII, fascicule 3. Bruxelles, 1952.

(٦) Hiérarchie céleste, ch. I-XV. P.G. III, 120A-340B.

يبدأ المؤلف فيقول ان الكائنات السماوية خلقها الله بمجرد ارادته روحانية بحتة ولكنها تمثل لنا باشباه بشرية لتتوصل بواسطة الصور الحسية الى ادراك كائنات غير محسوسة .

انها اجواق مختلفة حددها المؤلف بتسعة ، نظمها في ثلاث طغمات وهذه الاسماء تدل على وظيفة كل منها .

فالطغمة العليا تحيط بالله بصورة مستديمة ومباشرة وتتألف من السارفيم والكاروبيم والجلاس . تشرق عليها مباشرة الاعلانات الالهية .

والطغمة الوسطى تصل بين العليا والسفلى فتتألف من السادات والقوات والسلاطين .

اما الطغمة السفلى والاخيرة فتتألف من الرياسات ورؤساء الملائكة والملائكة .

تتلقى الاعلانات والالهامات من الطغمة الوسطى وتبلغها للبشر اذ انها على اتصال مباشر بهم[1] .

نجد التقسيم نفسه عند يوروتيه او اسطفان ابن الصديلي في اواخر القرن الخامس .

ثم يتطرأ المؤلف الى شرح اسماء الاجواق السماوية باسهاب فيكرّس لذلك ثلاثة فصول .

تسمية السارفيم تعني الاحتراق والحرارة من جراء محبة الله .

والكاروبيم يدلّون على كثرة المعرفة وافاضة الحكمة . .

والجلاس يدلّون على الرفعة والابتعاد عن كل انحطاط .

اما السادات فيدلّون على التحرر من كل عبودية .

والقوات على الجرأة التي لا تحمد .

والسلاطين على حسن النظام في اقتبال الهبات الالهية .

فاشتراك الطغمة الاولى في كمالات الله اتم من اشتراك الطغمة الثانية بها .

---

(1) Hiér. Cél. VI.2. P.G. III, 200D-201A.

التي تأتي الوسطى بواسطة الطغمة السابقة

وتسمية الرياسات تدل على مقام رئيسي سامي .

تسمية رؤساء الملائكة تشير الى مركز اسمى من مراكز الملائكة .

وتسمية ملائكة تدل على انهم مرسلون من قبل الله الى البشر يحملون لهم اوامره والهاماته ويعنون بامورهم[1] . معهم تنتهي الاجواق السماوية .

يسند للملائكة اعطاء الشريعة وفقاً لكلام القديس اسطفانوس حسب اعمال الرسل ٧,٥٣ : « الشريعة اعطيت بواسطة الملائكة » .

بخصوص وظائف الملائكة يعتقد ان لكل شعب وامة ملاكاً . يتكلم عن ميخائيل ملاك الشعب العبراني وعن ملاك المصريين[2] .

فضل ديونيسيوس يقوم بانه وضع نهائياً ونظم حسب ترتيب تدريجي العالم العلوي . فاستقى اسماء اجواق الملائكة من الكتاب المقدس : الكاروبيم من تكوين والسيروفيم من اشيعيا . اما الجلاس والسادات والقوات والسلاطين والرياسات فمن رسائل القديس بولس[3] .

وزاد على ذلك رؤساء الملائكة والملائكة .

فكان لديونيسيوس تأثير هام في تنظيم اجواق الملائكة وفي اثبات روحانيتهم . ونظراً لمقامه الرفيع وصلته الوثيقة برسول الامم اتخذت اقواله كحقائق واقعية الهمت اليه فلا تحتاج لبراهين ولا تقع تحت جدال . وقد تأثر بآرائه كل لاهوتيي الشرق والغرب الذين تكلموا عن الملائكة واخذوا عنه تنظيم عالمه السماوي .

واذا درس ديونيسيوس لا يؤلف مقالة كاملة في الملائكة فهو لا يتناول الا بعض النقاط : طغمات الملائكة واجواقهم اسماؤهم ، عددهم ، كيفيتهم ، انارتهم لبعضهم البعض . ويقول بعض الشيء في وظائفهم .

يهمل ان يثبت وجودهم وان يحدّد طبيعتهم . لا يشعر بحاجة لدعم اقواله

---

٢) Hiér. Cél. VII$_1$-IX$_1$. P.G. III, 205B-260C.

٣) Hiér. Cél. IX$_1$. P G III, 261B.

٣) تكوين ٣ : ٢٤ – اشعيا ٦ : ٢ – افسس ١ : ٢١ ؛ ٣ : ١٠ كولوساي ١ : ١٦

بجراهين الوحي او التقليد فكأن كل ما يفوه به حقائق موحاة مفروغ منها وليست بحاجة لبرهان او ادلة .

ميل متطرف للتكتم ورغبته للرموز حدت به الى التوقف على اسماء الملائكة واستنارتهم لبعضهم البعض بصورة تدريجية . فكان للافلاطونية المستحدثة عامة وليرو كلوس خاصة التأثير الكبير على تفكيره وآرائه ولنظرية الفيض وقعاً كبيراً على رأيه في علاقات الله بالعالم : ينزل الوحي من الله الى الطغمة الاولى فالى الثانية ومنها الى الثالثة واخيراً الينا بواسطة الملائكة .

ان كان الاريوفاجيتي قد نال شهرة واسعة في العالم المسيحي ومقاماً رفيعاً حتى تناقلت تآليفه كتّاب الشرق والغرب بالاجلال والتقدير فقد لاقى اقبالاً اعظم في الاوساط الشرقية وخصوصاً بين القائلين بالطبيعة الواحدة فدعي بالعظيم ديونيسيوس .

القديس يوحنا الدمشقي ٧٤٩ .

له في الملائكة فصل خاص في درسه عن الايمان الارثوذكسي لا يخلو من الاهمية اذ انه يلخص تعليم الآباء الشرقيين ويتابع تعليم الاريوفاجيتي .

يبدأ فيتكلم عن خلق الملائكة وطبيعتهم . لقد خلقهم الله على صورته بانعام منه ، طبيعة لا جسدية وروحاً مجردة عن المادة حسب قول مزمور مائة واربع : « صنع ملائكته روحاً وخدامه ناراً تتقد » . فهذه الجواهر الروحية العاقلة هي بانعام الهي غير مائتة ، لان كل مخلوق له نهاية . والله وحده اذ لا بداية له غير مائت بذاته . وهو الذي منح الطبيعة الملائكية عدم الموت .

الملاك له طبيعة روحانية عاقلة اذن له الاختيار والحرية ويمكنه ان يتغير من حالة الى اخرى . ومن له الاختيار يستطيع ان يعمل الخير او الشر حسب ارادته . لكنه بعد السقطة قد ترسخ في الخير بانعام خاص فلم يعد بامكانه ان يحيد عنه فالتحد به بشكل نهائي .

اما طبع الملائكة فبما انه مخلوق فهو محدود في المكان الذين يعملون فيه . انهم ليسوا بالوقت ذاته في السماء وعلى الارض يتنقلون بلطافة كلية حيثما يدعوهم الله فهم محدودون على صورة الارواح لا الاجساد .

[illegible] وتعرفتهم . [illegible] . مع الدمشقي ترتيب الاريوباجيتي فيتكلم عن تسعة اجواق وثلاث طغمات .

اما وظيفة الملائكة فتقوم في السماء برؤية الله وتمجيده وصنع ارادته وعلى الارض بالاهتمام بالشعوب والاماكن التي وكل الله اليهم حمايتها . يحرسون الشعوب والمناطق . يساعدوننا ويهتمون بامورنا . لا يتكلم بطريقة مباشرة عن ملاك حارس لكل فرد .

ويختم درسه بسرد الآراء في زمن خلقهم :

منهم من يقول بخلقهم قبل بقية المخلوقات مثل غريغوار النزيزي وآخرون يقولون انهم خلقوا بعد خلق السماء.[1] .

يزيد درس الدمشقي على درس ديونيسيوس كل ما يتعلق بطبع الملائكة : روحانية ، عدم الموت ، حرية ترسخ في الخير والفضيلة ، لطافة تعدهم للتنقل بسرعة . بالرغم من كل ذلك فطبعهم محدود ووجودهم يقتصر على المكان الذي يعملون فيه . . .

هذا الدرس المختصر بمادته المحصور النطاق ليس الا خلاصة لتعليم القرون الاولى ولآراء الآباء الشرقيين في الملائكة . معه ثبتت نهائياً روحانية الملائكة التي طالما تردد الآباء الشرقيين بالبت فيها وتكرس التنظيم الاريوباجيتي .

ان كان الدمشقي قد شذب كثيراً من درس ديونيسيوس فلم يأخذ عنه الا ترتيب الاجواق والطغمات واستعارتها لبعضها البعض تاركاً جانباً شرح تلك الاسماء. فانه قد اكتفى بالتحليل العقلي في تحديد طبع الملائكة فلم يكن لبرهان الوحي والتقليد مكان في درسه .

يؤلف درسه ملخصاً قيماً في التعليم عن الملائكة خلال القرون الثمانية الاولى . يقتصر على اجواقهم وطبعهم ووظيفتهم . لكننا لم نوفق بعد بدرس شامل ومقالة كاملة في الموضوع . هذا سيكون عمل القرون المقبلة فالمواد اصبحت نوعاً ما متوفرة والتقليد بخصوص التنظيم الملائكي وروحانية الملائكة اخذ يستقر فآن الاوان للجمع والتنسيق .

(1 De Fide orthodoxa, lib. II, ch. III, P G. 94, col. 864-7-4

المرحلة الثانية : الملائكة في التقليد الشرقي من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر .

لنا في الجيل التاسع فقط اول مقالة قيمة في الملائكة . ترك لنا موسى ابن الحجر اسقف الموصل للملة اليعقوبية ٨١٣ — ٩٠٣ مع ما ترك من التآليف درسين مخطوطين كانا ولا يزالا عرضة النسيان في خزائنها كمدرج[1] الدرس الاول في خلق الملائكة اودعه المؤلف اربعة وخمسين فصلاً بحث فيها عن وجود الملائكة ، عن زمان خلقهم ، عن عددهم وسكناهم[2] .

تطرأ مطوّلاً لتحديد طبيعتهم من الفصل التاسع الى الفصل الرابع والثلاثين : انهم ارواح لا جسد لها محصورون ومحدودون بالطبع . لطيفون وسريعو التنقل لا تعوقهم الحواجز .

بسيطون اذ لا جسم لهم وغير مركبين . لهم عدم الموت ليس بالطبع ولكن بانعام خاصّ من الله ، اذ لكل مخلوق نهاية .

قداستهم متفاوتة فكل ينال القداسة بانعام من الله حسب رتبته[3] . اما معرفتهم فمحدودة ومتدرّجة اذ انهم ادركوا بمناسبة سرّ التجسّد كثيرًا من الاسرار التي كانوا يجهلونها .

ويتكلم المؤلف عن حرّية الملائكة وعن سلطتهم الذاتية فيقول : الملائكة احرار ولهم السلطة الذاتية التي يمكنهم بواسطتها عمل الخير او الشرّ . وسبب ذلك انهم خلائق روحانية عاقلة وكل خليقة عاقلة لها الاختيار باتباع الخير او الشرّ . برهان على ذلك سقوط الشيطان الذي كان ملاكاً . فلو لم يكن مسلطاً على ذاته لما كان سقط واستحق العقاب . ولتحديد حرّية الملائكة يميّز المؤلف بين ثلاثة اعصر .

(١ Cambridge Add. 3285 et 3294, pp. 122 v - 150 v et 151-168 v ; 106 r - 132 r ; 132-149 r.

(٢ Add. 3285, pp. 124 r - 132 r.

(٣ Add. 3285, pp. 132 v - 137 r.

... الاول منذ سقوط الملائكة الى سقوط الشيطان : كان فيه ... يميل على السواء الى الخير والشر وكانت له الحرية باتباع ما يريد .

العصر الثاني منذ سقوط الشيطان الى تجسد الكلمة . على اثر سقطة ابليس ترسخ الملائكة الاخيار في الصلاح بفضل الامثولة التي اتخذوها من سقوط الملائكة المتمردين ومعاقبتهم فاصبح سقوطهم في الخطيئة عسراً .

والعصر الثالث منذ تجسد الكلمة الى قيامة الاموات . فالتجسد ثبتهم اكثر في الصلاح وافادهم عن الاسرار وقد ارتدعوا ايضاً بكلام المسيح الذي أنب الخطأة وهددهم بالعذابات الاليمة[1] .

يتكلم ابن كيفا عن النطق فيميز بين النطق الصناعي المكتسب الذي يقوم بفن تركيب الكلام وحسن المناقشة وبين النطق الطبيعي القائم بادراك الامور وتفهيمها . فهذا النطق الاخير يوجد فقط عند الملائكة فما ان ليس لهم جسم فليسوا بحاجة الى كلام بارز[2] .

ان كان لهم طبع واحد فانهم اجناس مختلفة متفاوتة بالقداسة والمعرفة والقدرة والعزم . واذا ما قابلنا الطبع الملائكي بالطبع البشري وجدناه اشرف منه بكثير ويستشهد على ذلك اقوال الآباء القديسين[3] .

يبحث المؤلف اخيراً في وظيفة الملائكة . لكل امة ملاك يحرسها ولكل بقعة ملاك كما ولكل مؤمن ملاك يتبعه فيكون له بمثابة راع وناصح ومصلح لحياته . هذا ما اشار اليه السيد المسيح عندما قال : ان ملائكتهم في كل حين ينظرون وجه ابي الذي في السماء .

ومن كتاب دانيال يستدل ان لكل امة ومملكة ملاك خاص : يتكلم عن رئيس مملكة فارس ، وعن المسلط على اليونان وعن ميخائيل المسلط على بني اسرائيل[4] .

---

١) كسرديح عدد ٣٢٨٥ صفحة ١٢٧ قرام الى ١٤١ قفا

٢) » » » صفحة ١٤١ قفا الى ١٤٢ قفا

٣) » » » » ١٤٢ قفا الى ١٤٤ قفا

٤) » » » » ١٤٢ قفا الى ١٤٤ قفا .

هذا ملخص المواضيع التي بحث بها المؤلف في مقالته عن خلق الملائكة . زاد على دروس سابقيه انه برهن عن وجود الملائكة وعن خواصهم اعني الروحانية ، القداسة والثبات بالخير والصلاح والحرية مستندًا الى الكتاب المقدس والى شهادات الآباء القديسين فدرسه غني جدًا بما يخص طبيعة الملائكة . وقد تكلم مطوّلًا عن ملاك حارس يتبع كل مؤمن طيلة حياته على الارض . ونسب لكل أمة وبقعة ومملكة كما فعل ديونيسيوس والدمشقي قبله ملاكًا خاصًا .

اما المقالة الثانية المختصة بطغمات الملائكة التي تؤلف مع المقالة السابقة وحدة . فقد اودعها ستة عشر فصلًا يقتصر بها عالبًا على سرد آراء ديونيسيوس فيما يخص الطغمات والاجواق الملائكية ومعاني اسمائها . واحيانًا يشرحها ويدعمها بشهادات مستقاة من الآباء ومن الكتاب المقدس . وجد لتنظيم الاريوفاجيتي للاجواق والطغمات السماوية صورة وبرهانا في الصفوف الثلاثة من الحجارة الكريمة التي وضعت في رداء الكهان . فكل صف مؤلف من ثلاثة حجارة كريمة يمثل طغمة ملائكية وكل حجر كريم جوقا من الاجواق التسعة[1] . ويتوقف على تعداد رتب الملائكة وخواصهم وشرح اسمائهم باسهاب من الفصل السادس الى الفصل الحادي عشر . وكل رتبة تمتاز عن الاخرى بدرجتها وبمعرفة توافق تلك الدرجة . وتتبع الاعلانات تنظيم الرتب فتأتي من العالي الى المتوسط فالادنى (فصل ١٢ و١٣) .

ويستدل المؤلف اخيرًا من كلام الكتاب المقدس عن الملائكة انهم الوف الوف وربوات ربوات . غير ان العقل البشري لا يمكنه ان يتوصل الى معرفة عددهم تامًا فهم فوق العدّ ولا يحصيهم سوى الله وحده[2] .

المقالتان مؤلفتان دون شك بحثًا غنيًا ضافيًا في الملائكة ودرسًا شاملًا استوعب الموضوع من كل نواحيه . لم يقتصر ابن الخير على سرد اجواق الملائكة وطغماتهم كما صنع الاريوفاجيتي ولم يتوقف على تحديد طبيعتهم باقتضاب كما فعل الدمشقي بل سعى بانشاء مقالة كافية في الملائكة .

١) كهرديج عد ٣٢٨٥ فصل ٦ صفحة ١٥٦ قوام
٢) « « « فصل ٦ صفحة ١٦٤ قوام

... الى التكلم عن خلق الملائكة ، عن روحانيتهم ، سلطتهم وقداستهم وحريتهم . ولقد تطرق الى حدود طبيعتهم : فهم عبيد الموت ليس بذاتهم بل بنعمة الله . اما معرفتهم فمحدودة وتدريجية .

غير ان نظريته بحرية الملائكة وان كانت لا تطابق تماماً رأي الكنيسة التي تعتقد وتعلم ان الملائكة بعد امتحانهم قد ثبتوا نهائياً في الصلاح بالنعمة الالهي فهي مبتكرة .

خلافاً لسابقيه يخص ابن الحجر الملاك الحارس بالذكر فيقول ان لكل مؤمن ملاكاً يرشده ويعنى بامر خلاصه .

ويعلل اختلاف اجواق الملائكة الى القول ان الملائكة متحدو الطبع يختلفو الاجناس وهذا سبب اختلاف درجاتهم وتفاوتهم في القدرة والمعرفة .

فهذا الدرس هو اوسع واتم واهم درس نعرفه في الملائكة قبل الجيل العاشر . وله اهمية كبرى في تاريخ علم الملائكة في التقليد الشرقي الا انه ينقصه قبل كل شيء تصميم منطقي .

الافكار تتوارد دون ترتيب ولا انتقاء فيحدث للمؤلف ان يمر من موضوع الى اخر دون اي تخلص . يتساءل في الفصل السابع والاربعين من مقالته في خلق الملائكة عن سبب وجود ملاك حارس لكل فرد . يجيب بجملة على السؤال ويبدأ في الفصل نفسه بالتكلم عن نوع وجنس الملائكة . وكثيراً ما يعود لفكرة سبق فتكلم عنها : مثلاً فصل ٢٠ و ٢٣ و ٢١ و ٢٢ و ٣١ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ .

فعدم الوحدة والتنسيق والتتابع المنطقي كما وعدم الصيغة الشخصية تفقد هذا الدرس كثيراً من قيمته . هو شهادة طويلة مستقاة من الوحي والتقليد النظري فقط البرهان العقلي بها ضئيل .

شاءت العناية ان يكون للبياقبة القسط الوافر في تطور التعليم عن الملائكة في التقليد الشرقي . فوجد ابن الحجر خلفاً له من ابناء ملته ترك لنا اثراً قيماً اودعه خلاصة التعليم الشرقي الا وهو غريغوريوس ابو الفرج ابن العبري مفريان

اليونانية لبلاد العجم وما بين النهرين عاش في القرن الثالث عشر . شعر باقتراب الكارثة وباجتياح المغول فشاء ان يجمع لابناء ملته ولكل رائد في العلم تعليم كنيسته في اهم الامور الدينية لتكون لهم ذخيرة يرودونها متى نفذ المغلون . فاتى بمجلد ضخم دعاه منارة الاقداس اودعه اثني عشر مقالة خصص الخامسة منها في الملائكة[1] . درس تآليف سابقيه ولا سيما ديونيسيوس وابن الحجر ونهل من معين هذا الاخير ما استساغه واتقى من موادّه ما انتقى فرتب وجمع والف مقالة موحدة مقسمة تقسيماً منطقياً اودعها كل ما يتعلق بالملائكة : اثبات وجودهم ببراهين عقلية وكتابية . البحث في اجواقهم وطغماتهم واسمائهم وعددهم واستنارتهم لبعضهم البعض وخلقهم . وصف طبيعتهم وحدّد وظائفهم . واخيراً ترك لنا مقابلة بين الملائكة والبشر وافادنا عن آراء الفلاسفة وعن بعض الاساطير التي كانت تتناقل عن الملائكة .

لم يكتف المفريان بسرد شهادات الكتاب المقدس والآباء بما يخص الملائكة بل جعل في درسه مقاماً مهماً للبرهان العقلي لم يهمل آراء الاخصام ومناقضاتهم فناقشها ونفاها بنداً بنداً .

استخدم لبناء مقالته درس ديونيسيوس الاريوفاجيتي ودرس ابن الحجر .

عن الاول اخذ كل ما يتعلق بالاجواق والطغمات الملائكية وخواصهم وميزاتهم واسمائهم .

وعن الثاني اخذ شرحه للاريوفاجيتي فاتم ما وجده من فراغ في درس الاول . اخذ عند برهان الوحي والتقليد النظري فاورده غالباً حرفياً وبترتيبه الاصلي .

نباشر فنعطي تصميم مقالة ابن العبري ونأتي بعد ذلك على تأثيره في علم الملائكة .

تنطوي مقالته على خمسة فصول :

الفصل الاول يثبت وجود الملائكة بثلاثة طرق :

---

[1] Candelabre du sanctuaire : vt. syr. 168, 3e base, pp. 168 à 189r.

بالاستناد الى البراهين العقلية من قبيل المجانسة فالى شهادات الكتاب المقدس واخيرًا الى دحض آراء الذين ينكرون وجودهم .

ويختم الفصل بالقول ان الفلاسفة انفسهم قد سلّموا بوجود الملائكة . فيعني المؤلف هنا فلاسفة العرب اي الفارابي وابن سينا .

اما الفصل الثاني فيبحث في اجواق وطغمات ووظائف الملائكة. يتبع المؤلف تنظيم الاريوفاجيتي وآراءه في اسماء الملائكة ومعانيها كما في استنارتهم لبعضهم البعض . كل رتبة تنير الرتبة الادنى منها وهكذا تصل الاستنارة الينا .

اما وظيفة الملائكة فتقوم على الارض بحراسة الافراد دون استثناء سواء كانوا مؤمنين او غير مؤمنين يعنون بامر الشعوب والمناطق ويحركون العناصر الاربعة للافادة . ويزعم المؤلف على غرار ابن سينا ان لكل فلك ملاكًا يديره .

في الفصل الثالث يتكلم عن خلق الملائكة وعن طبيعتهم وصفاتهم . فيفضل الرأي القائل بتقدم خلقهم على خلق بقية الكائنات المحسوسة .

اما طبيعتهم فلا يمكن ان تحدّد تامًا اذ كل تحديد يقوم باعطاء الجنس والنوع . والملائكة لا نوع لهم لتجردهم عن المادّة . لذلك يعمد ابن العبري الى وصف طبيعة الملائكة بالاستناد الى بعض التشابيه المستقاة من الوحي والتقليد : كنار غير هيولانية وهواء . . فكون الكتاب المقدس يشبه الملائكة تشابيه مختلفة برهان على أنهم ليسوا باجساد اذ انهم لو كانوا جسديين لكان مثالهم دائمًا بصورة واحدة وشكل واحد .

فالكتاب المقدس والعقل يدلان على ان الملائكة مخلوقون اذن هم محدودون بالطبع .

روحانيون هم ومن روحانيتهم يستخلص المؤلف عدم الموت بالطبع ومن كونهم عاقلين يستخلص حريتهم .

ونجد هنا فرقًا كبيرًا بين تفكير ابن العبري وتفكير ابن الحجر . هذا يقول ان الملائكة لهم عدم الموت لا بالطبع ولكن بانعام الهي مستندًا الى قول بولس الرسول : « الذي له وحده عدم الموت »[1] . وذاك ينسب لهم عدم

١) تيموثاوس الاولى ٦:١٦

ادرك الطبيع المكونة ... من ... . اجوار وضع الله لهم شريعة يمكنهم حفظها او تعديها .

وطبيعة الملائكة واحدة غير انه لكل جوق منهم جنساً خاصاً يختلف عن جنس الجوق الاخر . فاختلاف الاجناس سبب تعدد الاجواق واختلافها . اما اعضاء الجوق الواحد فيختلفون بالاقنوم (او الشخص) . ينبذ المؤلف الرأي القائل بان لكل ملاك جنساً خاصاً يميزه عن سواه . هذا رأي ابن سينا في العقول المفارقة قد طبّقه القديس توما على الملائكة[1] .

والفصل الثالث له اهمية كبرى في مقالة ابن العبري . اذ يبدو فيه المؤلف مبتكرًا ناهجاً طريقًا تختلف عن طريق ابن الحجر .

اما الفصلان الاخيران فهما اقل شأناً . يقابل المؤلف في الفصل الرابع بين الملائكة والبشر فيثبت بالبرهان ان طبع الملاك اشرف من طبع الانسان . ومعظم براهينه عقلية عن طريق اللياقة والمناسبة يدعمها بشهادة من الاريوفاجيتي وغريغوار النزيزي ويوحنا فم الذهب . ويدحض آراء من يزعم خلاف ذلك .

ويكرّس الفصل الخامس لسرد آراء الوثنيين في الملائكة . فالنظريات المنسوبة للفلاسفة وثنيين تخصّ بالصواب فلاسفة العرب لا سيما الفارابي وابن سينا اللذين لخّصا وشرحا نظرية الفيض .

لقد اخذاها دون شك عن افلوطين وعن الافلطونية المستحدثة . وبالرغم من محاولاتهما لتوفيقها مع معطيات الدين الاسلامي ظلّت تناقضه من جهة الخلق الاختياري وصدور كل شيء مباشرة عن الله ذاته لا بواسطة عقول متسلسلة . قد دعا المؤلف الفلاسفة الذين اقرّوا هذه النظرية وثنيين لان فلسفتهم تناقض وحدانية الله .

الرأي الاول يتعلق بفيض العقول التسعة عن الواحد . عن الواحد يصدر العقل الاول ؛ وعن كل عقل يصدر عقل اخر وفلك الى ان يبلغ عدد العقول والافلاك تسعة . اما العقل التاسع الاخير فهو علة وجود النفس والجسد وكل ما يحدث على الارض .

---

١) ابن سينا، الشفاء، جزء ٢ و٦٢٢ — Contra Gentes II, 93

ما هذه العقول الا الاجواق الملائكية التسعة . فالتوحيد بين العقول المفارقة واجواق الملائكة لم يعثر عليه لا عند افلوطين ولا عند فلاسفة العرب . جلّ ما نجده هو ان ابن سينا رغبة في التوفيق بين نظرية الفيض ومعطيات الدين الاسلامي القائل بوجود الملائكة[1] يوحد بين العقول والملائكة اذ يقول :

« واول رتبة هي رتبة الملائكة الروحانيين المجردين عن المادة المدعوين عقولاً ويعقبها رتبة الملائكة الروحانيين المدعوين نفوساً . هؤلاء ثم الملائكة العاملين . واخيرا الاجسام السماوية فنها شرف من سواها »[2] .

من هذه الفكرة دون شك ذهب ابن العبري الى القول ان الفلاسفة وحدّوا بين العقول المفارقة وبين اجواق الملائكة .

اما بقية الآراء المنسوبة الى الفلاسفة فانها تبحث في طبع العقول المفارقة .

بما ان هذه العقول ليست مادية فهي ابدية اذ انها لو ابتدأت او كانت معرضة للتلاشي لكانت هيولانية مركبة . وكل عقل منها لكونه مجرّدًا عن المادة يؤلف جنساً خاصاً يختلف به عن سواه : يعقل سواه ويعقل ذاته بالوقت نفسه . وبما ان عقل بسيط فيعرف كل شيء بنوع اجمالي عامّ وثابت — يدرك الاشياء الجزئية بنوع تمّ لا متجزيء والمتغيرة بنوع ثابت[1] .

ويختم مقالته بسرد بعض الاخبار المتعلقة بعبادة الملائكة قام بها مبتدعون . لقد عثرنا على بعضها فيما رواه عن الصابئة مؤرخو الاسلام : المقريزي والمسعودي والشهرستاني[2] .

يحق ان نتساءل الآن عن مدى تأثير ابن العبري في علم الملائكة وعن مركزه في التقليد الشرقي .

ان كان ابن العبري قد استقى معظم مادته من درس ابن الحجر فلقد نسّقه ونظّمه واعطاه باسلوب شخصي . كل ما اخذه من افكار صبغه بتفكيره الشخصي الخاصّ واعطاه كما لو كان منه .

فمن فصل لابن الحجر بنى برهاناً واعتراضًا وجواباً . اهمل النقاط التي لا

---

(١) القرآن سورة ٣٥

(٢) Vts 168, pp. 186 v - 188 r.

(٣) D.Ch. Wolsohn : *Die Ssabier und der Ssabismus*. 2 vol. st Petersburg 1858.

شأن ها والكلمات احشو و ستبدل الشهادات البعيدة عن موضوع وحرى تتعلق به مباشرة .

اعطى ابن العبري في درسه المقام الاول للبرهان العقلي فاتت شهادات الوحي والتقليد تثبت ما اكده العقل .

فحيث يستدعي ابن الحجر وجود الملائكة كضروره فرضيـة من قبيل كمال الله يستدعيه ابن العبري كضرورة عقليّة . هذا يلجأ الى البراهين العقلية وذاك الى البراهين اللاهوتية المستقـاة من الوحي والتقليد . ابن العبري يستند مثلاً الى العنصرين الموجودين في الانسان : النفس والجسد ليستنتج ضرورة وجود الملائكة . اما ابن الحجر فيستنتج من البرهـان نفسه وجود الملائكة مستنداً الى كمال الخالق وكمال خليقته (ضرورة فرضية) .

ويستند ابن الحجر الى شهادات الوحي والتقليد لتحديد طبع الملائكة : روحانيّة ، عدم الموت . اما ابن العبري فيستنتج كل ذلك بالبرهان العقلي من كون الملائكة روحانيين .

« الموت هو افتراق النفس عن الجسد والفساد افتراق المادّة عن الصورة . فلمّا كان الملاك مجرّدًا عن المادّة ومنزّهاً عن الجسد لم يكن عرضـة للموت والفساد بالطبع »[1] .

هذا ما يحملنا الى القول ان علاقة ابن العبري بابن الحجر علاقـة مادّية اكثر منها معنويّة اذ في تصميمه وفي التوسّع بآرائه نهج نهجاً خاصاً . فبفضل تفكيره الثاقب وتعلقه بالوحي والتقليد رغماً عن بعض الهفوات اللاهوتيـة ظلّ بالاجمال مستقيم الرأي . ميّز بين ما يتعلق بالايمان وبين ما هو من قبيل الرأي فاعطى وجود ملاك حارس لكل فرد كحقيقة موحاة والقول بوجود ملائكة للشعوب وللطبيعة بمثابة زعم ليس الا .

نستخلص من درسنا هذا ان معطيات الوحي ضئيلة تكاد تقتصر على وجود الملائكة وظهورهم غالباً باشباه بشرية وتعداد بعض اسمائهم .

اما الآباء فبتفكيرهم على الوحي وجدوا في اختلاف الاسماء التي اعطاهـا بولس الرسول للملائكة اختلافاً في الاجواق . وحدا هذا بالاريوباجيتي إلى تنظيم

(1) Vis. 168. ch. III. p. II, sect 3. f 182 r.

العالم الملائكي تنظيماً ثلاثياً محكماً . تعرّض بعضهم احياناً لوصف طبع الملائكة فلم يجمعوا على البتّ بروحانيتهم فكانت نظرياتهم مبعثرة خلال تآليفهم . واول لمحة موجزة في الموضوع تنسب للاريوفاجيتي حدد بها مقامات الملائكة واجراقهم وتكلم عن وظيفتهم بانارة بعضهم البعض وادارة شؤون البشر .

وزاد عليه الدمشقي تحديد طبع الملائكة والقول بروحانيتهم وعدم الموت . فكان كلامهما في بحثه نظرياً اكثر منه عملياً .

وجمع ابن الحجر وابن العبري بين الناحيتين النظرية والعملية اذ اثبتا وجود الملائكة بالاستناد الى الوحي والتقليد والبرهان العقلي . لقد احسنا استعمال البرهان العقلي فسدّا به ما وجداه من فراغ في معطيات الوحي .

بالرغم من بعض المبالغات ومن بعض الاراء التي لم يعد لها قيمة كوجود ملاك لكل من الافلاك فتعليم ابن العبري مصيب فيما يخصّ وجود الملائكة وطبيعتهم ووظيفتهم بين البشر .

اما آراؤه فلها قيمة متفاوتة فوجود الملائكة وخلقهم واختلاف رتبهم ووجود ملاك حارس لكل فرد حقائق موحاة اثبتها المؤلف بالبرهان العقلي . وما سوى ذلك فهو اما تريب للاتيان كروحانيتهم وعدم الموت واما محتمل كاختلافهم الجنسي واما رأي فقط كوجود ملاك حارس لكل عنصر من العناصر الاربعة . فبفضل ديونيسيوس كانت لنا اول لمحة في الملائكة وبفضل ابن الحجر وابن العبري اول درس لاهوتي شامل .

بيد ان درس ابن العبري يظلّ اهمّ درس عرفه التقليد الشرقي في الملائكة . لقد كان في هذا الحقل للشرق ما كان معاصره توما الاكويني للغرب . فمقابلة بين الاثنين لا تخلو من الافادة لكنها تستغرق درساً اخر ربّما تمكنا من تحقيقه في مستقبل قريب .